مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية
ISSN/2716-8417 *رقم الإيداع الوطني 2020/09
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/725
المجلد: 02 العدد: 03 ص:...../.....

تمظهرات الانزياح بين التراث العربي والفكر الغربي

-دراسة مصطلحية بينية-

Manifestations of deviation between Arab heritage and Western thought

- Intermediate Terminology Study -

المعطيات	المؤلف الأول	المؤلف الثاني	المؤلف الثالث
الاسم واللقب	أحمد ملياني		
الدرجة العلمية	دكتوراه		
مخبر الانتماء	/		
جامعة الانتماء	حسيبة بن بوعلي الشلف		
البلد	الجزائر		
البريد الإلكتروني	a.meliani@univ-chlef.dz		

الملخص باللغة العربية	
الملخص	تسعى هذه الورقة البحثية، إلى تقصي ملامح مصطلح الانزياح في التراث البلاغي العربي، وحضوره في مصطلحات أخرى دلّت عليه، باعتبار أنّ البلاغيين العرب أدركوا بذوقهم الفطري أن للشعر لغة خاصة تختلف عن اللّغة العادية، وذلك ما تجاذبته الدراسات الأسلوبية الحديثة، والتي وإن اختلفت في ضبط مصطلح الانزياح، فتباينت أراء الدارسين الغربيين بين كونه: شذوذًا، انتهاكًا، خرقًا، انحرافًا، عدولا... إلا أنها اتّفقت على كونه إمكانيّة أسلوبيّة تنقل اللغة من معياريّتها إلى جماليّتها.
الكلمات المفتاحية:	الانزياح؛ البلاغة العربية؛ الأسلوبية الحديثة؛ مخرجات التفاعل.

الملخص باللغة الأجنبية	
ABSTRACT:	What we envisage from this study is the investigation of the term deviation and its epistemological origins in

	the Arab rhetorical heritage, in what the Arab rhetorics stood for in their writings, and the terms and concepts they cited in them that indicated it, given that they realized with their innate taste that poetry has a special language that differs from the ordinary language, and that is what Modern stylistic studies have attracted him, and although they differed in controlling the term deviation, the opinions of Western scholars differed between it being an anomaly, a violation, a breach, a deviation, adultery ... However, they agreed that it is a stylistic possibility that moves the language from its normative to its aesthetic.
Key Words:	Deviation ; Arabic rhetoric ; modern stylistics ; Interaction output.

1. مقدمة:

يعتبر الانزياح ظاهرة مهمّة وبخاصة في الدراسات الأسلوبيّة، والتي تعتبرهُ لغة مخالفة للمألوف في الخطاب الأدبي. ويتّفق علماء الأسلوب في كون الانزياح انتقالاً للّغة من نظامها المعياري إلى الطاقة الخلاّقة، بما هو تميّز لها وما تملكهُ من كفاياتٍ تتمثّل في التراكيب والألفاظ والصّيغ التي يدخلها المبدع في حلقة كلامية تبتعدُ من المعتاد والمألوف، لتتشكّل في هيئة جديدة تولّد لدى المتلقي صدمةً معرفيّة تلامس فكرهُ وخيالهُ وتحقّق له متعة. في حين اختلفوا في ضبط مفهومه اصطلاحًا. وسنحاول تتبّع مصطلح الانزياح وتجلياته عند العرب في تراثهم البلاغي القديم وفي الدراسات الأسلوبيّة الحديثة.

2.المفهوم اللغوي للانزياح

الانزياحُ في اللّغة: من نَزَحَ الشيءُ ينْزَحُ نزْحًا و نُزُوحًا: بَعُدَ، و نَزَحَتْ الدّارُ فهي تَنْزَحُ نُزُوحًا إذا بَعُدَتْ، وبلدٌ نازحٌ: بعيدٌ، و نَزَحتْ البئرُ: قلَّ ماؤُها أو نَفِدَ، وقد نُزِحَ بفلانٍ إذا بَعُدَ عن ديارهِ غيبةً بعيدةً[1] .

وقد دلّ المعنى اللغوي للكلمة على البُعد، وبهذا وافق ما ذهبت إليه المفاهيم الحديثة لمصطلح الانزياح.

3.تجليات مصطلح الانزياح في التراث البلاغي العربي

يزخر التراث البلاغي العربي بإشاراتٍ واضحة إلى مصطلح الانزياح، والذي انبنى عند البلاغين الأوائل في وجوه عدّة، انطلاقا من الصّوت وانتهاءً بالخطاب ككل، باعتبار أنّهم أدركوا بذوقهم الفطري أن للشعر لغة خاصة تختلف عن اللّغة العادية، بل ذهبوا على أنّها نوعٌ من السّحر يهزّ انتباه المتلقي ويفاجئهُ بما اختار الشاعر وانتقى من ألفاظ وتراكيب مخالفة لما اعتاد عليه النّاس.

تجلّى مصطلح الانزياح عند البلاغيين العرب القدامى في معرض حديثهم حول قضايا بلاغية كثيرة ومسائل نحوية عديدة، خصّ بها الكلام شعرا ونثرا، غير أن إيعازها إلى الانزياح لا يُدرك إلا بحسن التأمل حين بثّ في تضاعيفها، أهمّها تفريقهم بين المستوى العادي للّغة وبين المستوى الفنّي، وبين الشّعر والنثر، وبين الضرورة والرخص مثل ما هو عند **سيبويه** (ت.179هـ) في جواز ما يقع في الشعر من عدولٍ باللغة لا يقع في الكلام المنثورِ، فالضرورة الشعريّة معيارُ التفرقة بين الشعر والنثر أو الكلام، وإعطاء المزيّة للشعر بما هو انزياحٌ يفضي إلى تحقيق الوظيفة الجمالية.

للانزياح مصطلحات عديدةٌ عرف بها عند اللغويين والبلاغيين القدامى منها: العدول، الالتفاتُ، الصّرف الانصراف، التلوّن، مخالفة مقتضى الحال، الإقدام وشجاعة العربيّة وغير ذلك. ومن الالتفاتات المبكّرة لتجلّي مفهوم الانزياح في تراث الأوائل ما ذهب إليهِ **الجاحظ**(ت.255هـ) في اعتبار الشّعر صناعة ونوعا من الصياغة التصويريّة التي يُحسَنُ فيها النسجُ الجديد والتخيّر الفريدِ بقوله:"المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربي، والبدوي والقروي، والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعةٌ، وضربٌ من النّسج، وجنسٌ من التصوير"[2]، فالجاحظ يرى أنّ المزيّة في إحكام المعاني هو توظيفها بما يحقّق دورًا جماليًا، من خلال مقدرتها على تجاوز الكلام الاعتيادي والانزياح إلى تعابير جديدة غير مألوفة. وهذا يعود إلى اعتقاد العرب بأن الشّعر إلهامٌ ووحيٌ وإخراجٌ عن العادة من مخالفةٍ للكلام الشائع [3].

اهتم الجاحظ بالتّفريق بين مستويين في اللّغة، المستوى العادي المألوف في الاستعمال والمستوى الفني الخاص، ويرتبط المستوى الأول بطبقة العامة، وغرضهُ إفهامُ الحاجة، أما المستوى الثاني فغرضهُ الإبانة البليغة، ويتميّز هذا الأخير بمبدأ تخيّر اللفظ4، لأنه موجّهٌ إلى طبقة مخصوصةٍ، وما البلاغة إذ ذلك إلا تخيّر اللفظ في حسن الإفهام[5] والكلام البليغُ هو الوجه المنزاحُ في اللّغة بم يتوفّر عليه من خصائص تَعدِلُ به عن الاستعمال المألوف، وشكلٌ من أشكال الانزياحِ من خلال صورها التي تخرج عن النّمط المطّرد إلى نماذج فنيّة متصرّف فيها بما يوصل المعنى في أحسن صورة من اللفظ.

كان **ابن جني** (ت.392 هـ) أكثر تلميحًا لمفهوم الانزياح، من خلال قوله بشجاعة العربية، والتي تعبّر عن"وعي القدماء بضرورة الخروج عن الاستعمال العادي للّغة على أنه ملمحٌ من الملامح التي تحتاج إلى جرأة وشجاعة، ولذلك ليس غريبًا أن يسمي النقاد والبلاغيون العرب مثل هذا الخروج بشجاعة العربية، ليدلّل على تطويع اللغة إلى الحاجة الإنسانية في التعبير وتوسيع إمكانياتها لتخدم غرض المبدع"[6]، فهي سمةٌ تبرز رغبة الشاعر في مخالفة المألوف، والمجازفة في خوض ما لم يُسبق إليه، ويقول ابن جني في وصف هذا الشاعر فيقول:"متى رأيت الشاعر قد ارتكبَ مثل هذه الضرورات على قبحها، وانخراق الأصول بها، فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه، وإن دلّ من وجه على جوره وتعسفه، فإنه من وجه آخر مؤذِن بصياله وتخمطه،

وليس بقاطع دليل على ضعف لغته، ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته، بل مثله في ذلك عندي مثل مُجري الجموح بلا لجام، ووارد الحرب الضروس حاسرا من غير احتشام، فهو وإن كان ملوما في عنفه وتهالكه فإنه مشهودٌ له بشجاعته وفيض منته، ألا تراه لا يجعل أن لو تكفر في سلاحه، وأعصم بلجام جواده لكان أقرب إلى النجاة وأبعد عن الملحاة. ولكنه جشم ما جشمه على علمه بما يعقب اقتحام مثله إدلالا بقوة طبعه على شهامة نفسه"[7]، فمخالفة الشاعر للأصول التي يقوم عليها الشعر ولجوئه إلى الرخص والضرورات الشعرية التي تمنح له دون الناثر، ليس انتقاصًا من لغته أو فصاحته إنما دليلٌ على شجاعته اللّغوية وقوة إبداعه.

أوردَ ابن جني في باب "فرق بين الحقيقة و المجاز"، أن المجاز "إنما يعدلُ إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاث وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة"[8]، فابن جني يريد أن المجاز صورة منزاحة عن الحقيقة، من خلال معاني الاتّساع والتوكيد والتّشبيه، وما هذه الأخيرة إلا ضروبًا في الكلام تنزاحُ عن المألوف.

يرى كثيرٌ من النّقاد أن مصطلح العدول أقرب لمفهوم الانزياح، وهو" يعني التحوّل من أسلوبٍ إلى أسلوب بقصد زيادة المعنى و التّحسين"[9]، ولقد عرف هذا المصطلح شيوعا كبيرا عند البلاغيين القدامى من مثل **عبد القاهر الجرجاني**(ت. 471 هـ) ، وهذا في معرض حديثه عن أقسام الكلام في قوله:"اعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين: قسم تعزى المزيّة و الحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم. فالقسم الأول: الكناية والاستعارة، والتمثيل الكائن على حد الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر..."[10]، فالعدول عند عبد القاهر الجرجاني هو من يخلق المزية والحسن في الألفاظ وكذا في النظم، وهو انزياحٌ عن ظاهر القول إلى تعابير أخرى تجعله أكثر فصاحة.

يشير عبد القاهر الجرجاني إلى مفهومٍ آخر يتمظهر فيه المفهوم الاصطلاحي للانزياح وهو "معنى المعنى" و الذي يعني"أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسّرت لك"[11]، فالمعنى هو المفهوم الظاهر للفظ، أما معنى المعنى هو انزياح اللفظ من معناه المرجعي المحتمل إلى معاني أخرى تتحقّق في الأساليب غير المباشرة التي تصوغها الأشكال البيانية للبلاغة.

فقد أراد عبد القاهر الجرجاني من خلال مفهومه لمعنى المعنى خلق مستوى انزياحي في اللّغة لا يُدركُ إلا بالتأويل وفك شفرات المعاني، و"المتكلم قد يستخدم اللغة (المفردات و التراكيب) بمستواها التوقيفي أو العرفي دون أن يقصد إلى توصيل المعاني المباشرة، المقررة والمستقرة لها، بل لكي يستخدم هذه المعاني أنفسها في توليد معنى جديد... فكما أن للألفاظ دلالة، فإن هذه الدلالة نفسها قد تفضي إلى دلالة ثانية هي

بالنسبة إلى المتكلم الدلالة المقصود إليها"[12]، وتكون ماثلة في البنية الداخلية للنص، والمتلقي هو من عليه استنباط هذه القواعد الفرعية التي تخرج و تنزاحُ عن القواعد الأصلية.

لامس عبد القاهر الجرجاني معالم نظرية الانزياح في الدراسات الحديثة، من خلال مفهومه لمعنى المعنى الذي يتحقق بالابتعاد عن التعابير المألوفة والدلالات الظاهرة إلى المعاني الإيحائية الخفية وهذا ما نجده في الانزياحِ "من تركٍ للمألوف الشائع عن طريق كسر القواعد المتعارف عليها وإحكامها من جديد، فتفاجئ المتلقي بتوليد المعاني المجازية الجديدة عن طريق تبديل علاقة الملاءمة والتجانس بين الدال والمدلول إلى علاقة اللاتجانس واللامعقولية بينهما"[13]، بغية خلق فضاء أوسع للنص وكسر الرتابة عنه.

أما **السّكاكي** (ت.626 هـ) فنلفي أنه يشير إلى مصطلح الانزياحِ بخاصية تتعلّق بالتعبير وهي بما أسماها "الأسلوب الحكيم"، وهو "خروج الكلام لا على خلاف مقتضى الظاهر بأساليب متفنّنة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا و لهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما نبه على ذلك منذ اعتنينا بشأن هذه الصناعة وترشد إليه تارة بالتصريح، وتارة بالفحوى، ولكل من تلك الأساليب عرقٌ في البلاغة يتسرّب من أفانين سحرها ولا كالأسلوب الحكيم فيها، وهو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب"[14] فهذا اللون من الأسلوب يعمدُ إليه المتكلّم في صياغة كلامه، من خلال أساليب البلاغة العديدة تصريحًا وتضمينًا، بحيث يخاطب المتلقي بغير ما يتوقّع.

يتجلّى الانزياح عند السكاكي كذلك في المجاز، فقد فصل بينه وبين الحقيقة، فيرى أن المجاز هو" الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع"[15]، فالمجاز كلمةٌ يراد بها غير ما وقعت لهُ في أصل الوضع، فهو أداة ينزاح بها المُخَاطِبُ عن التعبير المألوف والذي هو الحقيقة إلى تعابير مجازية تخالف الشائع.

بهذا نلفي أن للانزياح ومفهومه جذورًا ممتدة في التراث البلاغي عند العرب الأوائل، من خلال عنايتهم بالبلاغة والاشتغال على النحو، فقد فطن الدرس البلاغي العربي القديم إلى ظواهر متعدّدة في الكلام تعتبر تجاوزًا للمألوف وخرقًا لأعراف اللغة وسننها، وأوغلوا في الدراسة بما يضاهي ما جاء بعدهم من دراسات حديثة، حتى وإن لم يوظفوا مصطلح الانزياح إلا أنهم أشاروا إليه بمصطلحات تشاكله بما تواءم مع السياق الثقافي الذي جاءت فيه تصانيفهم.

4. مصطلح الانزياح في الدراسات الغربية الحديثة

شاع مصطلح الانزياح في الدراسات الغربية الحديثة واختلفت ترجماته وسط الدارسين فقد عُرّف هذا المصطلح في اللغة الفرنسية على أنه **(Ecart)** . و فِعل هذه الكلمة الاسمية هو **(Ecarter)** وهو مشتق من الكلمة اللاتينية العامية **(Exquartare)** بمنعى: الفسخ أو التقطيع، أو الطريق المتفرّع، أوالمسافة الفاصلة بين الأشياء أو الأشخاص[16]، كما أنها تعني كذلك في الأصل: البُعد[17]، وعرّف مصطلح الانزياح في اللغة الإنجليزية على أنه **(Déviation)** وفي الألمانية **(Abweichung)**[18].

اهتمّت الدراسات اللسانية والأسلوبية الغربية بمفهوم الانزياح على اعتباره ظاهرة مهمّة تعنى بالتشكيل الجمالي في الخطابات الأدبية بما هو خروجٌ عن التعبير المألوف، ويعدّ فاليري **(Valery)** أوّل من ربط مفهوم الانزياح بالأسلوب، و يرى بأنّه" انحراف عن قاعدة ما"[19]، ويوافقه في ذلك بيير جيرو **(Pierre Guiraud)** حين يرى أن الأسلوب هو"انزياح لساني يتناسب مع بعض الانحراف عن القاعدة"[20]، ويكون هذا الانحراف ملامسًا لمستويات اللغة العادية بغية خرق سننها بما ينقلها إلى الفنية الجمالية.

يَعتبر "فاليري" أن الانزياح قائمٌ في الأنساق اللغوية والكتابات الشعرية، وهو لغةٌ داخل لغة و إبراز للسّمات المميزة لها، وإخراجها من نظامها القديم إلى نظام جديد ينحرف عن المألوف وغايته لفت انتباه المتلقي، فيقول:"إن كل عملٍ مكتوب، كل إنتاج من منتجات اللغة يحوي آثارًا أو عناصر مميّزة... فعندما ينحرف الكلام انحرافا معينا عن التعبير المباشر، أي عن أقل طرق التعبير حساسية وعندما يؤدي بنا هذا الانحراف إلى الانتباه بشكل ما إلى دنيا من العلاقات متميزة عن الواقع العملي الخالص، فإننا نرى إمكانية توسيع هذه الرقعة الفذّة، ونشعر بأننا وضعنا يدنا على معدن كريم نابض بالحياة قد يكون قادرًا على التطور والنمو، وهو إذا ما تطور فعلا واستخدم ينشأ منه الشعر من حيث تأثيره الفني"[21]، فهو لا يَعدِمُ أن يكون الانزياحُ السر الكامن في الجودة الشعرية، فهو بمثابة معدنٍ نفيسٍ يملكُ الخصوصية الفنية والحمولة الدلالية التي تحقق المتعة و الفائدة للمتلقي.

من ثمة جاء ليو سبيتزر (**leo Spitzer**) ليتعمّق أكثر في مفهوم الانزياح، ويربط الدراسة الأسلوبية بالانحراف، فهو يجعل منه" مقياسًا لتحديد الخاصية الأسلوبيّة عموما، ومسبارًا لتقدير كثافة عمقها ودرجة نجاعتها ثم يتدرج في منهج استقرائي يصل به إلى المطابقة بين جملة هذه المعايير وما يسميه بالعبقرية الخلاقة لدى الأديب"[22]، فالانزياح عنده هو مقياسٌ لضبط السمات الأسلوبيّة الفردية للكاتب أو المبدع والمتجلّية في الانزياحات التي يستعملها في لغته وخطاباته التي تعتبر وليدة عصره، كاشفة لملامح مجتمعه و مرآة تعكسُ نفسيته.

أمّا رولان بارت **(Roland Barthes)** فيرى بأن النصّ هو الوسط الذي يتجسّد فيه الانزياح، على أنّه "قوةٌ متحوّلة تتجاوز جميع الأجناس و المراتب المتعارف عليها، لتصبح واقعا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم"[23]، فالنص شكلُ اللغة المتحوّل وهو القالب الذي تفرغ فيه الانزياحاتُ بما هي تجاوزٌ للقواعد المتعارف عليها، والتي تمنح المبدع أسلوبًا خاصًا يبتعد به عن الرتابة والتعابير الجاهزة، و يخلق من اللغة العادية مستوى أسمى لها.

من هاهنا فإن مفهوم الانزياح عنده يتحدّد في مخالفة الكلام الاعتيادي والتمرّد على ما يصطلحه المجتمع فهو يحصل" في كل مرّة لا أحترم فيها ما هو كلّ... وفي كل مرة تنقصني فيها اللغة الاجتماعية، أو لهجة الجماعة"[24].

رسّخ جون كوهين (**J.Cohen**) مفهوم الانزياح في معرض حديثه عن لغة الشعر في كتابه (بنية اللغة الشعرية)، وتقوم نظريّة الانزياح عنده على مجموعة من الثنائيات، من مثل ثنائية المعيار والانزياح، حيث يرى أن الشّعر"انزياحٌ عن معيار هو قانون اللغة، فكل صورة تخترق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من

مبادئها. إلا أن هذا الانزياح لا يكون شعريا إلا إذا كان محكوما بقانون يجعله مختلفا عن غير المعقول"[25]، فكوهين يفترضُ تمثّل الانزياح في الشعر دون النثر لأن "النثر هو اللغة الشائعة يمكن أن نتحدث عن معيار نعتبر القصيدة انزياحا عنه"[26] ، و بهذا يفرّق بين الشعر والنثر، حيث أن الفرق بينهما يتعلّق بالكم دون النوعية لأن كلاهما مشتملٌ على انزياحاتٍ، غير أن الشعر لغة الفن.

يلازم "جون كوهين" بين الانزياح والأسلوب، على اعتبار هذا الأخير"انزياحا فرديا،أي طريقة في الكتابة خاصة بواحد من الأدباء"[27]، وباعتبار الانزياح خطأ متعمدا أحيانا، فقد ورد عنده زيادة على مصطلح الانزياح مصطلح الخطأ حين نجده يقول:"إن الأسلوب خطأ، ولكنه ليس كل خطأ أسلوبًا"[28].

كذلك الشأن لدى ميكائيل ريفاتير (**Michael Riffaterre**) في ربطه للدراسة الأسلوبية بالانزياح فهو يرى أن الأسلوب"انزياحٌ عن النمط التعبيري المتعارف عليه"[29]، بينما يذهب في تحديد مفهوم الانزياح إلى اعتباره" خرقًا للقواعد حينًا، ولجوءًا إلى ما ندر من الصيغ حينًا آخر فأما في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة فيقتضي إذا تقييما بالاعتماد على أحكام معيارية، وأما في صورته الثانية فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات عامة والأسلوبيّة خاصة"[30] فالانزياحُ إذ ذلك خروجٌ عن المعاير الذي هو الاستعمال العادي للّغة السائرة على ألسنة الناس، غير أن ريفاتير لا يربطه بفرضيات الاستعمال النّسبي القائم على التصورات الشخصية إنما بما هو تمثّل قارٌ في النص؛ فكل نص يحمل في طياته معيارًا يتجسد في الصياغة الطبيعية له ويحمل كذلك خروجًا عن ذلك المعيار.

كما أن المعيار لا يمكّننا من تبرير "كيف يكون انحراف ما إجراء أسلوبيا في بعض الحالات، ولا يكون كذلك في حالات أخرى، لأنه إذا كان التنوّع بالقياس إلى المعيار العام ثابتًا، إذن يجب أن يكون الأثر نفسه ثابتا"[31]، ومن هنا يستغني "ريفاتير" عن المعيار اللغوي لصعوبة إقراره ويستبدله بالسياق الأسلوبي، والذي يعرّفه على أنّه:"نموذج لساني مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع، والتناقض الناتج عن هذا التداخل هو المنبه الأسلوبي"[32]، وبهذا يفتح "ريفاتير" المجال أمام القارئ لإدراك خواص النص الأسلوبية انطلاقا من المثيرات القائمة في السياق والناتجة عن هذا العنصر الذي يقطعه فينتج عن أنقاض السياق القديم سياق أسلوبي جديد.

نقف أخيرا عند تزفيتان تودوروف (**Tzvetan Todorov**)، والذي يعرّف الانزياح على أنّه "لحنٌ مبرّرٌ"[33]، فهو يقع في اللغة الأدبية التي لا تساير الشائع المألوف من قواعد اللغة وسننها، فهو خرقٌ لتلك القواعد و خروجٌ عنها، تبرّره الطاقات التعبيرية و الإيحائية والفنية التي تنفجر في اللغة. والتي تتكرّس عنده بهذا الاستعمال إلى ثلاثة مستويات: المستوى النحوي المستوى اللانحوي والمستوى المرفوض، ويمثّل المستوى الثاني أريحيّة اللغة في ما يسع الإنسان أن يتصرّف فيه[34]. وتقابل هذه المستويات ثلاثة أشكال للانحراف وهي: الانحراف الكمّي من خلال تكرار حدوث السمة الأسلوبية، والانحراف النحوي عن القاعدة، والانحراف عن نموذج موجود في النص[35].

يُطلِق "تودوروف" على الانزياح تسمية (نظرية البعد) وهي" من أكثر النظريات انتشارًا حيث أرادت أن تجد في الصورة خرقًا لقاعدة من القواعد اللسانية"[36] وهذا ما يسعى إليه الانزياح من مخالفة للقواعد اللسانية والسنن اللغوية المعيارية.

لقد ارتبط مفهوم الانزياح في الدراسات الغربية الحديثة بالدراسات الأسلوبية، وهذا لاعتبار الأسلوب نوعًا من الانزياح عن القاعدة و التعبير العادي، بغية إحداث لغة شعرية تتمرّد على سطوة القوالب الجامدة واللغة النمطية بما يحقق للمتلقي قدرا من الفهم والمتعة.

5. مصطلح الانزياح عند النقاد العرب المحدثين

اهتم النقاد العرب المحدثين بالانزياح ومفهومه، فتعدّدت فيه آراؤهم وتباينت اصطلاحاتهم بتباين ثقافاتهم واتجاهاتهم الأدبية والفكرية بخاصة في الدراسات الأسلوبيّة، لارتباط هذا المصطلح بالنظريات الحديثة على اعتباره سمة جماليّة في الخطابات الأدبية، فتعدّدت اصطلاحاتهم له مما زعزع استقرار مجال البحث والدراسة فيه، في ظل العزوف عن كل ما هو تراثي قديم وعادة افتتانهم بكل ما هو غربيٌ، ومن أهم النّقاد الذين تناولوا مصطلح الانزياح في دراساتهم عبد السلام المسدي، والذي اعتبره بأنّه "مصطلح عسير الترجمة لأنّهُ غير مستقرٍ في تصوّره لذلك لم يرض به كثير من رواد اللسانيات والأسلوبيّة فوضعوا مصطلحات بديلة عنه وعبارة انزياح ترجمة حرفية للفظة **(Ecart)** على أن المفهوم ذاته يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو نحييَ له لفظةً عربيّة استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة (العُدول)"[37] فالمسدي يعدّ أوّل من نقل مصطلح الانزياح من مرجعيته الغربية إلى اللغة العربية بإحالته إلى المصطلح التراثي العربي العدول، غير أنّه لم يوظّفه في كتابه "الأسلوبيّة والأسلوب" في بادئ الأمر، وذلك رغبة منه" إلى إبراز الجدّة من حيث هو متصوّرٌ إجرائي طارئ على سنن التأليف في اللغة العربية، ثم جاء مصطلح العدول إحياءً لمصطلح بلاغي تراثي لم يعد يجرّ محاذير الالتباس"[38]، وقد استعمله كل من تمام حسان[39]، حمادي صمود[40]، ومصطفى السّعدني[41] وغيرهم. ويصنّف عبد السلام المسدي المصطلحات التي أطلقت على مصطلح الانزياح في التنظير الغربي وهي كالآتي[42]:

- الانزياح **(l'écart)** و التجاوز **(l'abus)** عند فاليري.

- الانحراف **(la déviation)** عند سبيتزر.

- الاختلال **(la distorsion)** عند والاك و وران.

- الإطاحة **(la subversion)** عند بايتار.

- المخالفة **(l'infraction)** عند تيري.

- الشناعة **(le scandale)** عند بارت.

- الانتهاك **(le viol)** عند كوهين .

- خرق السنن**(la violation des normes)** و اللّحن **(l'incorrection)** عند تودوروف.

- العصيان **(la transgression)** عند آراغون.

- التحريف **(l'altération)** عند جماعة مو.

وإن كان عبد السلام المسدي يفضّل استخدام مصطلح الانزياح إلى جانب مصطلحات أخرى مثل: العدول، فإن الناقد المصري صلاح فضل فضّل مصطلح الانحراف مبرّرا ذلك على أنّه قد" تعدّدت صيغهُ في اللغة العربية، فمرّة يبحث الرفاق له عن معادل بلاغي قديم، وهو العدول، فيقلّمون أظافرهُ و يلثمون حدّته، ومرة أخرى يلجأ الباحثون إلى كلمة ذات إيحاء مكاني واضح هي:الانزياح، تفاديا للإيحاء الأخلاقي المقصود و المستثمر في كلمة انحراف"[43]. غير أن أحمد محمد ويس يرى بأن مصطلح الانحراف لا يعبّر عن مفهوم الانزياح بالرغم من شيوعه وهذا لأنه" كثير الورود في كتب النقد وسياقات أخرى ليست بأسلوبية ولا نقدية، ولكنه في أكثرها يحمل بعدا غير إيحائي"[44].

يشير أحمد محمد ويس إلى أن الانزياح هو أحسن ترجمة للمصطلح الفرنسي **(Ecart)** لأن هذه الكلمة تعني في أصل لغتها (البعد)[45]، وبذلك تتوافق مع معناها في اللغة العربيّة، كما أن كلمة الانزياح ولطبيعتها الصوتية وما تحمله من مدٍ "من شأنه أن يمنح اللفظ بعدا إيحائيًا يتناسب وما يعنيه في أصل جذره اللغوي من التباعد والذّهاب. حقا إن الانحراف والعدول يتضمن كل واحد منهما مدًا، بيد أنه مدٌ لا يتلاءم وما تعنيه الكلمة من معنى، ثم إن الفعل منهما يفتقر إلى ذلك المد الذي ينطوي عليه (انزاح)"[46].

من ثمّة فمصطلح الانزياح ذو خصوصية؛ فنيّة ارتبط مفهومه بالدراسات الأسلوبية بيد أن مصطلحي الانحراف والعدول يتم تداولهما في حقول معرفية عديدة ليست نقدية ولا أسلوبية. وهذا يعني أن الانزياح مصطلحٌ لا يحمل لبسا من أي نوع كان، على عكس ما يحمله الانحراف من بعدٍ أخلاقي سيئ يجعل المرء غير مطمئن له[47]. ويتداول عديد النقاد العرب مصطلح الانزياح من مثل: عدنان بن ذريل[48]، عبد الله الغدامي[49]، ونعيم اليافي الذي يعرّفه بأنه:"خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياسًا في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيبًا"[50].

أما أحمد درويش في ترجمته لمصطلح **(Ecart)** يختار كلمة (المجاوزة) مبرّرًا ذلك بقربها من المفهوم البلاغي الغربي، إذ يقول:" ترجمنا هنا مصطلح **(Ecart)** بمصطلح (المجاوزة)، واضعين في الاعتبار المصطلحات المقابلة في البلاغة العربية، وأولها كلمة (المجاز) بمعنى طرق التعبير التي تجري على نسق غير النسق العام، كما استعملها أول كتاب يحمل عنوانه هذه الكلمة في التراث العربي وهو كتاب المجاز لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت. 208 ه) قبل أن يتحوّل المصطلح إلى دائرة علم البيان وحدها فيما بعد"[51].

يرى أحمد محمد ويس أن أحمد درويش لم يحسن ترجمة المصطلح **(Ecart)** بالمجاوزة لأن مصطلحا الانزياح والانحراف كانا شائعين حينها، ويرجع ذلك إلى عدم اطّلاعه على ترجمات الكلمة في باقي بلدان شمال إفريقيا، وهذا ما أشار إليه بنفسه في مقدمته للطبعة الثالثة من ترجمته لكتاب كوهين الصادرة عام 1993[52].

6. الخاتمة:

ما يمكن قوله في ختام استعراض أراء ومفاهيم النقاد العرب والغرب حول مصطلح الانزياح، وعلى اختلافها فإنها تتّفق على اعتبار الانزياح ظاهرة أسلوبية مهمّة في النقد الحديث، تتّخذ شكلا جماليًا في الخطابات الأدبية، حيث تخرجها عن المألوف إلى معانٍ أخرى يتخيّرها المبدع بغية التأثير في الملتقي واستمالة انتباهه وتحقيق الدهشة والمتعة لديه، فالانزياح وإن اختلفت مصطلحاته في محاولة الإحاطة المعجمية به على اختلاف المرجعيات، إلا أن بنيته العميقة وما تكتسي من دلالة تبقى طافية لا يشوبها شك أو اعتراض.

7. الإحالات:

---

1 - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان ،1997 مجلد: 02، مادة "ن ز ح "، ص:614.

2 - الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط:02،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج:03، 1965،ص:131،132.

3 - ينظر: محمد أحمد ويس، الانزياح في التراث النقدي و البلاغي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002، ص:46.

4 - ينظر: عبد السلام المسدي، "المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان و التبيين للجاحظ"، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، تونس، العدد:13، 1976، ص:157.

5 - ينظر: الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق: عيد السلام محمد هارون،ط:07، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج:1998،01،ص:114.

6 - موسى سامح ربابعة، الأسلوبية. مفاهيمها و تجلياتها، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط:1، دار الندي، الأردن ، ص: 51.

7 - ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج:02، ص:392.

8 - نفسه، ص:442.

9 - مصطفى السعدني، العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ص: 13.

10- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، ط:1، دار الفكر، دمشق، 2008، ص:402.

11- نفسه، ص:269.

12- عز الدين إسماعيل، "قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني"، مجلة فصول للنقد الأدبي، مصر، المجلد:07، العدد:03،04، 1987، ص:39.

13- عبد الله خضر حمد، أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ط:01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013، ص:26.

14- السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2000، ص:435.

15- نفسه، ص:468.

16- ينظر: يوسف وغليسي، "مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية الغربية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي"، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، المجلد:16، العدد: 64، ص:189.

17- Le Grand robert de la langue française, Canada, 1985, p.725.

18 - موسى سامح ربابعة، الأسلوبية. مفاهيمها و تجلياتها،ص: 44.

19- ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط:1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1998، ص:208.

20- بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، ط:2، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا،1994، ص:84.

21- أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات البلاغية و الأسلوبية، ط:01،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص: 86.

22- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط:3 الدار العربية للكتاب، تونس ، ص:102.

23- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 1992،164 ص:213.

24- رولان بارت، لذة النص، ترجمة: منذر عياشي، ط:01، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 1992، ص:45.

25- جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي و محمد العمري، ط:01، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،1986، ص:07.

26- نفسه ، ص:15.

27- نفسه، ص:15.

28- نفسه، ص:193.

29- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص:103.

30- نفسه، ص:103.

31- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم: حميد لحميداني، ط:01، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 1993 ص:54.

32- نفسه، ص: 56.

33- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص:102.

34- ينظر: نفسه، ص:103.

35- ينظر: سامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوبي. رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، ط:01، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص: 21.

36- تزفيتان تودوروف، الشّعرية، ترجمة: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، ط:02، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1990،ص:40.

37- عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب، ص: 162.

38- أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات البلاغية و الأسلوبية، ص: 46.

39- ينظر: تمام حسان، البيان في علوم القرآن، ط:01، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1993، ص: 345.

40- ينظر: حمادي صمود، الوجه و القفا. في تلازم التراث و الحداثة، ط:01، الدار التونسية للنشر، تونس، 1988،ص: 30. و ينظر:حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981،ص:52.

41- ينظر: مصطفى السّعدني، العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، ص:91.

42- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص:100،101.

43- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص:57.

44- أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات البلاغية و الأسلوبية، ص: 40.

45- نفسه، ص: 49.

46- نفسه، ص: 56.

47- أحمد محمد ويس، "الانزياح وتعدد المصطلح"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،المجلد:25، العدد:03، ص: 67.

48- عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط: 02، 2006، ص:144.

49- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، ط:06، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص:25.

50- نعيم اليافي، أطياف الوجه الواحد. دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، ط:01، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،1997 ص:92.

51- جون كوهين، النظرية الشعرية، ترجمة وتقديم: أحمد درويش، ط:04، دار غريب، القاهرة، مصر، 2000، ص:35.

52- أحمد محمد ويس، الانزياح من منظور الدراسات البلاغية و الأسلوبية، ص: 52.

8. قائمة المراجع:

المؤلفات العربية

1. أحمد محمد ويس،2002، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا.
2. أحمد محمد ويس،2005، الانزياح من منظور الدراسات البلاغية والأسلوبية، ط:01،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان.
3. تمام حسان،1993، البيان في علوم القرآن، ط:01، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
4. الجاحظ،1965، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط:02،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج:03.
5. الجاحظ،1998، البيان والتبيين، تحقيق: عيد السلام محمد هارون،ط:07، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج:01.
6. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج:02.
7. حمادي صمود، 1988، الوجه و القفا. في تلازم التراث و الحداثة، ط:01، الدار التونسية للنشر، تونس.
8. حمادي صمود، 1981،التفكير البلاغي عند العرب، منشورات الجامعة التونسية، تونس.
9. سامي محمد عبابنة، 2007، التفكير الأسلوبي. رؤية معاصرة في التراث النقدي و البلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، ط:01، عالم الكتب الحديث، الأردن.
10. السكاكي،2000، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
11. صلاح فضل،1998، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ط:1، دار الشروق، القاهرة، مصر.
12. صلاح فضل، 1992، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 164.
13.عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط:3 الدار العربية للكتاب، تونس.
14. عبد القاهر الجرجاني،2008، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، ط:1، دار الفكر، دمشق.
15. عبد الله خضر حمد، 2013،أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، ط:01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
16. 30. عبد الله الغذامي،2006، الخطيئة والتكفير، ط:06، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
17. عدنان بن ذريل،2006، اللغة والأسلوب، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط: 02.
18. مصطفى السعدني، العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
19. ابن منظور،1997، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد:02.
20. موسى سامح ربابعة، الأسلوبية. مفاهيمها وتجلياتها، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ط:1، دار الندي، الأردن.

21. نعيم اليافي، 1997، أطياف الوجه الواحد. دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، ط:01، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

المؤلفات المترجمة

22. بيير جيرو، 1994، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، ط:2، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا.

23. تزفيتان تودوروف،1990، الشّعرية، ترجمة: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، ط:02، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.

24. جون كوهين،2000 النظرية الشعرية، ترجمة وتقديم: أحمد درويش، ط:04، دار غريب، القاهرة، مصر.

25. جون كوهين، 1986، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي و محمد العمري، ط:01، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.

26. رولان بارت،1992، لذة النص، ترجمة: منذر عياشي، ط:01، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا.

27. ميكائيل ريفاتير،1993، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتقديم: حميد لحميداني، ط:01، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

المقالات

28. أحمد محمد ويس، "الانزياح وتعدد المصطلح"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،المجلد:25، العدد:03.

29. عبد السلام المسدي، 1976، "المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان و التبيين للجاحظ"، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، العدد:13.

30. عز الدين إسماعيل،1987، "قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني"، مجلة فصول للنقد الأدبي، مصر، المجلد:07، العدد:03،04.

31. يوسف وغليسي، "مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية الغربية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي"، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، المجلد:16، العدد: 64.

المؤلفات الأجنبية

32. Le Grand robert de la langue française, Canada, 1985